5 me Année, No. 231

Lundi 6-12-1937

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ ص في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

العـــدد ٢٣١ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ شوال سنة ١٣٥٦ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

الفهـــرس

صفحة

١٩٦١ شقشقة هدرت ثم قرت : أحمد حسن الزيات .. ..

١٩٦٣ بين القاهرة واستنبول . : الدكتور عبد الوهاب عزام ...

١٩٦٥ مصر وإيطاليا ... ... : بقلم باحث دبلوماسي كبير ...

١٩٦٧ مكين بين انجليزي ولبوته ... ...

١٩٦٩ إلى أخي النازح إلى باريز ! : الأستاذ علي الطنطاوي ... ...

١٩٧٢ أطراف من تاريخ الملابس عند المسلمين للعلامة المستشرق دوزي . ... : الأديب محمد عبد الله الحاجري . ...

١٩٧٦ خيتانجالي للشاعر الفيلسوف طاغور . ... : الأستاذ كامل محمود حبيب ...

١٩٧٨ أبو إسحاق الصابي ... : الأستاذ عبد العظيم علي قناوي

١٩٨١ مصطفى صادق الرافعي . : الأستاذ محمد سعيد العريان ...

١٩٨٤ فلسفة التربية ... ... : الأستاذ محمد حسن ظاظا . ...

١٩٨٦ نقل الأديب .. .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

١٩٨٨ نكبة السيول (قصيدة) : السيد احمد عبيد ... ...

١٩٨٩ لوحة الشاعر (قصيدة) : المرحوم التيجاني يوسف بشير

١٩٨٩ عودتنا الثانية (قصيدة) : الأستاذ خليل هنداوي .. ...

١٩٩٠ الزنك كعنصر أساسي لنمو النبات ... ... : الأستاذ عبد الحليم منتصر . ...

١٩٩٢ غرام راهب (قصة) .. : الأستاذ دريني خشبة ... ...

١٩٩٧ إلى صحف الفطر الشقيق — ذكرى وفاة أبي الفرج الأصبهاني

١٩٩٨ وفاة العلامة بوز الهندي — مذكراتي في نصف قرن . ...

١٩٩٩ الآداب الفرنسية وجائزة نوبل — جائزة نوبل للسلام — مواطن الجواد قبل التاريخ ... ...

٢٠٠٠ بريطانيا العظمى وفلسطين ... ...

ثورة على الأعقاب

شقشقة هدرت ثم قرت

أخي عزام

قرأت مقالك البليغ في عدد الرسالة السابق ، وكان محمود خصمك حاضراً فكفاني ما كلفتني من إبلاغه . وهو في هذه الساعة بين الحاشية ، لأنه قام منذ هنيهة عن مائدة الإفطار الغنية الشهية ، ممتلئ البطن من خير الله ، رطيب اللسان بحمد الله ، لا يذكر أن في العالم ضيق رزق ، ولا أن في الناس سوء خلق . ولذلك قال حين ذكّرته برأيه وخبّرته برأيك ما قال الإمام علي رضي الله عنه : تلك شقشقة هدرت ثم قرت ! فكانت حاله التي حالت بين الأمس واليوم دليلاً جديداً لعلماء الاجتماع الذين يردون ثورات الشعوب المختلفة إلى العوامل الاقتصادية المحض من الحرمان والجوع . والواقع الذي لا يرفه زخرف القول أن الناس يدورون بعواطفهم وأخلاقهم حول مادة العيش ، فإن أُعطوا منها رضوا ، وإن لم يُعطَوا منها إذا هم يسخطون

على أن مجلسنا كان حافلاً بغير محمود من رجال العلم والدين والأدب وكلهم كانوا له وعليك . وليس ذهابهم إلى رأي خصيمك

انصرافاً عما قررت من حميد الأثر لأخلاقنا المقدسة فى ألفة الناس وسعادة النفس ، فإن ذلك موضع اتفاق لا يشذ عنه إلا ميت الضمير أو مريض العقل . إنما كان موضع الجدل أن الأخلاق الفاضلة لا تصلح أن تكون عدة النجاح إن لم تكن عدة الفشل . والنجاح فى جهاد العيش لا يدل على تمام معناه إذا قصدنا به الكفاف من ميسور الرزق ، يصيبه الصالح والطالح ، ويقنصه البازى والرخم . فإذا ضربت له مثلاً نجاح الصانع الصادق والتاجر الأمين والمزارع الوفى والعامل القانع ، كانوا أحرياء أن يتهكموا بقداسة هذه الأخلاق إذا كان قصارى أمرها هذا النجاح الحقير وهى الدستور الأعلى لبلوغ السموات وامتلاك الأرض . فإن هؤلاء الطيبين الأخيار الذين وصفتهم بالقناعة وخصصتهم بالرضى لن يستطيعوا أن يكونوا يوماً من رجال المال والأعمال كصيدناوى والبدراوي وعبود . أما حين تقصد النجاح بمعناه الأتم فإنهم يرونك تنزع إلى مقالة محمود وتعلل بمنطقك السليم فشل التقى الأبى الحر بأنه (لا يرى إلى الجاه والمال إلا طريقاً واحدة هي الطريق التى يسنها الحق والشرف والآباء والمروءة ، وأن أمام الفساق والأذلاء والأدنياء طرقاً شتى من التلصص والكذب والتزوير والخداع والملق والذلة والشره والظلم والقسوة والأثرة وهلم جرا ، وأن من الأحرار من يخفق في عمله حين يلزم نفسه هذه الطريق الواحدة ، ويقسرها على هذه المحجة الواضحة ، وأن من العبيد عبيد المطامع والأهواء ومرضى النفوس والأخلاق من يظفرون فى هذه السبل بما يريدون ، ويبلغون الغاية التى يقصدون)[1] وما دام جوهر الرأي واحداً فالسبيل القاصدة إذن أن نطبّ لهذه الحال بما يواتم بين طموح الناس وكرامة الأخلاق وسلامة المجتمع . وليس هناك إلا وسيلة من وسيلتين : إما أن نصد الناس جميعاً عن هذه الطرق المتعددة ، ونقصرهم على هذه الطريق الواحدة ، بقوة الأديان والسلطان والتربية ، وذلك ما عناه الرسول (ص) بقوله : « عليكم بالجادّة ودعوا البُنَيّات[2] » ؛ وإما أن نعيد النظر فى قانون الأخلاق فلعل فيه ما لا يرافئ تقلب العصر وتطور المجتمع . فأما الوسيلة الأولى فقد سجل الماضى ودلل الحاضر على أنها خيال نبيل لا يقع فى الإمكان ، وحلم جميل لا تقوم عليه يقظة . وتعليل ذلك لا يعزب عنك فلا حاجة إلى تقريره . وأما الوسيلة الأخرى فهى على ما يرون مظنة التوفيق فى الإصلاح الجديد

ما معنى أن يظل التواضع والقناعة والزهد والمداراة والتوكل على إطلاقها فضائل وأنت ترى بعين الواقع أن المتواضع موضوع والقانع مهمَل والزاهد محروم والمدارى مستذَل والمتوكل عاجز ؟ أليس صلف الانجليزى أبلغ فى العزة ، وطمع الفرنسى أليق بالحياة ، وطموح الايطالي أخلق بالرجولة ، وصراحة الألماني أدعى إلى الهيبة ، واستقلال الأمريكى أضمن للفوز ؟ ما معنى أن يظل الربا فى عصر الاقتصاد رذيلة وقد اختلف اليوم فى معناه ومرماه عن ربا (شيلوك) وأنت تعلم أن الغرب لم يستعبد الشرق إلا عن طريق بنوكه . فقد كانت تأخذ القناطير المقنطرة من أموال المسلمين بغير ربا لتقرضها إخوانهم المساكين بالربا الفاحش . ولو أنهم أخذوا رباها وأنفقوه فى وجوه الإصلاح والبر لما بقى على أرضهم أجنبى ، ولما ظل تحت سمائهم فقير . ولا أريد أن أعرض لغير الربا من الرذائل فلا تزال فى حاجة إلى التقية والمصانعة . وإذا سلمنا أن مقياس الفضائل والرذائل هو النفع والضرر ، فما كان مؤدياً إلى منفعة سمى فضيلة ، وما كان مؤدياً إلى مضرة سمى رذيلة ، سهل قياس الأخلاق على هذا الأساس ، وأمكن بعد ذلك الاتفاق على نتيجة هذا القياس

* * *

ذلك يا عزام قولهم بأفواههم يريدون أن يصل إليك عن طريق الرسالة . أما محمود فقد ظل صامتاً طول الحديث كأنه ليس منه فى قال ولا فى قيل . ولا أدرى إذا ما خلا جوفه من طعام رمضان الدسم المرىء أيعود إلى جدالك ، أم يكتفى بتعليق أصحابه على مقالك . وأما أنا فلا أزال أهيب بدهاقنة الدين وفلاسفة الأخلاق أن تتدخل جماعتهم فى سوق الفضائل معدِّلة أو هادية ، كما تتدخل الحكومة فى سوق الأقطان مشترية أو حامية

احمد حسن الزيات

(١) من مقال الأستاذ فى العدد الماضى

(٢) الجادة وسط الطريق والبنيات ، الطرق الصغار التى تتشعب من الجادة